أبو الحسن المتطبِّب [السَّامري][1][2]

وزير الصَّالح إسماعيل.

وهو الذي كان سبباً لزوال دولته، وإخماد جمرته، وقد ذكرنا أخباره متفرِّقة في السنين، فسبحان مَنْ أراح منه المسلمين، وما كان مسلماً، ولا سامرياً، بل كان يتستَّر بالإسلام، ويبالغ في هَدْم شريعة المصطفى عليه الصلاة والسلام. قال له الشيخ إسماعيل الكوراني ـ رحمه الله ـ يوماً وقد زاره: لو بقيت على دينك كان أصلح [لك][1] لأنك تتمسك بدين في الجُمْلة، وأما الآن فأنت مذبذب، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. [وقد ذكره محمد بن سَعْد في قصيدته التي ذكرناها في سنة خمسين وست مئة][1]، وقد ذكرنا أَنَّه شُنِقَ، وعَجَّل الله بروحه إلى أسفل الدَّركات، وما كان شَنْقُه علواً في الحياة، بل خفضاً ولعنة في الممات، ولقد ظَهَرَ له من الأموال واليواقيت والجواهر والتحف والذخائر ما لا يوجد في خزائن الخلفاء ولا السَّلاطين، وأقاموا ينقلونه مدة سنين، [فبلغني أن][1] قيمة ما ظهر ثلاثة آلاف ألف دينار غير الودائع التي كانت له عند أصدقائه والتجار، ووجدوا له عشرة آلاف مجلَّد من الكُتُب النَّفيسة والخطوط المنسوبة، فتمزَّق الجميع في زمنٍ يسير، وأذهبه الله في نهابير[3].

السنة التاسعة والأربعون وست مئة

فيها عاد الملك النَّاصر [صلاح الدين][1] من غَزَّة إلى دمشق، وجاء عسكر مِصْر، فنزل غَزَّة والسَّاحل ونابُلُس، وحكموا على البلاد إلى الشَّريعة[4]، وجَهَّز الملك النَّاصر عسكره، وجاءته النَّجدة، وساروا إلى غَزَّة، وعاد التُّرْك إلى مِصْر، وأقام العسكر على غزة مدة سنتين وشهور، وتردَّدت الرَّسائل بينهم، وخرجت السنة والتي بعدها على هذا.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «عيون الأنباء»: ٧٢٣ـ٧٢٨ ، و«عيون التواريخ»: ٢٠/ ٤٧ ، و«نزهة الأنام»: ٢٠١ ، و«النجوم الزاهرة»: ٧/ ٢١ـ٢٢ .

(٣) النهابير: المهالك.

(٤) الشريعة: نهر الأردن.

وفيها أخذ ابنُ العادل الكرك والشَّوبك، أعطاه إياها الخادم، وخرج أقطايا من القاهرة في ألف فارس، فنزل غَزَّة.

وفيها نقلوا تابوت الصَّالح إلى تُرْبته بالقاهرة، ولبس الأمراء ثياب العزاء، وناحوا عليه بين القَصْرين، وحزنوا وبكوا، وتصدَّقت أُمُّ خليل بمالٍ عظيم.

وفيها أخرب التُّرْك دِمياط، وحملوا آلاتها إلى مِصْر، وأخربوا الجزيرة، وقيل: أخلوها، وعَزَلوا العماد بن القُطب الحموي عن قضاء مصر، وأضافوها إلى القاضي بدر الدِّين.

[وفيها تزوّج الملك المعز أيبك التركماني الصالحي بأم خليل، وتسمى شجرة الدر بحضور القاضي بدر الدين والعدول.

وفيها توفي شهاب الدين بن فرج بدمشق، وخلف مالاً عظيماً، وأمر منه بصدقة، واسمه سليمان.][1]

وفيها توفي

الفقيه بهاء الدِّين علي بن هبة الله بن سلامة، ابن الجُمَّيْزِي[2]

وكان إماماً، فاضلاً، عارفاً بمذهب الشَّافعي، دَيِّناً، وكان يخالط الملوك، فاتَّفق أَنَّه حَجَّ في آخر عمره، فأهدى له صاحب اليمن بمكة هدية، فقَبِلَها، فأعرض عنه الصَّالح أيوب، ولم يرض عنه، وكان قد [[3] أخذ الفقه عن محمد الطوسي وعن محمد بن يحيى]، وسمع الحديث الكثير، ورواه، وترسَّل من الكامل إلى الأشرف وبغداد، وكان قد سافر في عنفوان شبابه إلى العراق، وسمع شُهْدة وأقرانها، والحافظ السِّلَفي بمِصْر، وكان خطيب القاهرة، وكان دَمِثَ الأخلاق، كريم النَّفس، قلَّ أن يدخل عليه أحد إلا ويطعمه، [وكنت اجتمع به بين القاهرة ومصر، ويقف معي، ويباسطني، ويدعو لي ويشكرني، وعمر لأنَّ][1] مولده سنة تسعٍ وخمسين [وخمس مئة][1]، وهو سِبْط ابن الجُمَّيْزي.

وحكى [لي][1] عن محمد بن السَّمَّاك الواعظ، قال: رأى الحق سبحانه في منامه، فقال له: يا مشعث، إلى متى تدعو النَّاس إلى بابي ولا تحضر بنفسك؟ وعِزَّتي، لولا

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ٢٥٣ـ٢٥٤، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ١٠٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ت): وكان قد تفقّه، وسمع الحديث...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

أَنَّه حضر مجلسك بعضُ الأولياء، فسألني فيك فشفَّعته لعذَّبتك. قال: فعاش أياماً، ومات.

وكانت وفاة بهاء الدِّين ليلة الخميس رابع وعشرين ذي الحِجَّة، ودُفِنَ يوم الخميس بالقرافة، [وحملت جنازته على الأصابع، ودفن][1] قريباً من روزبهان.

السنة الخمسون وست مئة

فيها وصل التَّتر إلى الجزيرة، ونهبوا ديار بكر ومَيَّافارِقِين، وجاؤوا إلى رأس عين وسَرُوج وغيرها، وقتلوا زيادةً على عشرة آلاف، وصادفوا قافلةً خرجت من حَرَّان تقصد بغداد بين رأس عين وحَرَّان، فأخذوا منها أموالاً عظيمة، منها ستّ مئة حِمْل سُكَّر ومعمول مصر، وست مئة ألف دينار، وقتلوا الشُّيوخ والعجائز، وساقوا من النِّساء والصبيان ما أرادوا، ورجعوا إلى خِلاط، وقَطَعَ أهلُ الشرق الفرات، وخاض الناس في القتلى من دُنَيْسر إلى الفرات، [وحكى لي][1] بعضُ التجار [قال][1]: عددت على جسرٍ بين حَرَّان ورأس عين في مكانٍ واحد ثلاث مئة وثمانين قتيلاً.

وحجَّ النَّاس من بغداد بعد عشر سنين بَطَلَ الحجُّ فيها؛ منذ مات المستنصر وإلى هذه السنة.

وفيها توفي

شمس الدين محمد بن سَعْد، الكاتب المقدسي[2]

نشأ بقاسيون على الخير والصَّلاح، وقرأ القرآن والنحو والعربية، وسمع الحديث الكثير، وكان مكيناً دَيِّناً، وبَرَعَ في علم الأدب، وحُسْن الخَطِّ، وكتب للصَّالح إسماعيل والنَّاصر داود، وكان دَيِّناً، فاضلاً شاعراً، [[3]وأنشدني قصيدة، وكتبها لي بخطه لما تفاقم ظلم السامري ونوابه، وكتب بها إلى الصالح إسماعيل، ولو كتبت بماء الذهب على الأحداق لكان ذلك أقل من القليل، وهي هذه الأبيات]: [من البسيط]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٣/ ٩١-٩٢، و«عيون التواريخ»: ٢/ ٦٧، و«فوات الوفيات»: ٣/ ٣٥٨، و«نزهة الأنام»: ٢١٤ـ٢١٥، و«النجوم الزاهرة»: ٧/ ٢٦ـ٢٧، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٢٥٣.

(٣) في (ت): ومن شعره وكتب بها إلى الصالح إسماعيل، وما بين حاصرتين من (ش).